التحليل البياني للنص القرآني دراسة في محاولات الخروج عن سلطة قواعد النحويين

م.د. ناطق نجم عبد الله الزركاني
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية
nnajim@uowasit.edu.iq

الملخص:

عرض هذا البحث لعدد من المحاولات التي تبناها علماء التعبير القرآني الذين رأوا أن الالتزام بحرفية القواعد النحوية يُذهب بروعة النص القرآني وسر إعجازه ، إذ إنّ عددا من هذه القواعد قائم على الصناعة النحوية، وهذا – بحسب وجهة نظرهم – يؤدي في كثير من الأحيان الى تفكيك المعنى إنّ لم يكن فساده، فإعمال قواعد التقدير والحذف والنيابة والزيادة وغيرها حتى وإن كان المعنى يصح بها، إلا أنّها تُذهب بسر التعبير القرآني، وعليه فهؤلاء الباحثون انحازوا الى التحليل البياني على حساب تحكيم قواعد النحويين.

الكلمات المفتاحية: (التحليل البياني، التعبير القرآني، التكلّف النحوي، السياق القرآني).

Graphical Analysis of the Qur'anic Text A Study on Attempts to Digress from the Authority of Grammarians' Rules

Dr . Natiq Najm Abdullah Alzirgani
University of Wasit / Faculty of Education for Human Sciences

Abstract:

This research presents a number of attempts undertaken by scholars of Quranic expression. Those who believed that strict adherence to grammatical rules diminishes the magnificence and miraculousness of the Quranic text. They argue that some of these rules are based on grammatical constructs that are artificially created, and according to their perspective, this often leads to the disintegration of meaning, if not its corruption. Consequently, these researchers have leaned towards rhetorical analysis over the strict enforcement of grammatical rules.

Keywords: (Rhetorical analysis, Quranic expression, Grammatical complexity, Quranic context).

المقدمة:

عرض هذا البحث لعدد من المحاولات التي تبناها علماء التعبير القرآني الذين رأوا أن الالتزام بحرفية القواعد النحوية يُذهب بروعة النص القرآني وسر اعجازه ، إذ إنّ عددا من هذه القواعد قائم على الصناعة النحوية ، وهذا – بحسب وجهة نظرهم – يؤدي في كثير من الأحيان الى تفكيك المعنى إن لم يكن فساده ، فإعمال قواعد التقدير والحذف والنيابة والزيادة وغيرها حتى وإن كان المعنى يصح بها ، الا انها تُذهب بسر التعبير القرآني ، وعليه فهؤلاء الباحثون انحازوا الى التحليل البياني على حساب تحكيم قواعد النحويين .

لقد عكف الباحثون المهتمون بالبيان القرآني على استجلاء الأسرار البيانية لتراكيب القرآن وأساليبه بعيدا عن التصنع والتكلف النحوي و اللغوي و البلاغي، ولذلك فقد انتقد عدد منهم النحويين في تعاملهم مع النص القرآني ، إذ رأوا أن الأصل أن تعرض قواعدهم على البيان الأعلى لا أن يعرض القرآن عليها أو يخضع لها .

وللتدليل على هذا الأصل الذي انطلق منه البيانيون القرآنيون عمد البحث الى عرض ثلاث محاولات : الأولى للباحثة المصرية د. عائشة عبد الرحمن ، والثانية والثالثة لباحثين عراقيين هما : د. شلتاغ عبود ، وعالم سبيط النيلي .

باكورة النقد النحوي عند علماء التعبير القرآني

مضى على النحو فترة غاض فيه رونقه وأصاب قواعده وأصولها وفروعها جفاف وجفاء ، فتأثر بالمنطق و التيارات العقلية و الفلسفية فأصبح صناعة لفظية[١]، فقصروا النحو على الإعراب ونظرية العامل ، فهم قد ضيعوا من حدود النحو وسلكوا به طريقا منحرفة إلى غاية قاصرة ، وضيقوا كثيرا من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة[٢] حتى جاء الجرجاني فحرص على إنقاذ النحو من الحال التي انتهى إليها، فافتكر نظرية النظم التي تقوم على توخي معاني النحو في الكلام ، قال: ((واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الموضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله ...))[٣]. وبذلك يكون الجرجاني قد احكم الحديث عن النحو وبين وجه الحاجة إليه ، حافلا بنظرية النظم ومبنى بلاغة الكلام واستقامة الأسلوب، وبذلك يلتقي عبد القاهر في

استعمالات اللغة مع معظم ألا لسنين المعاصرين الذين يعنون باستخراج القوانين التي تحدثها العلاقات بين العناصر[٤].

إن الجرجاني ((رسم في بحوثه طريقا جديدا في النحو العربي تجاوز فيه أواخر الكلم وعلامات الإعراب، وبين أن للكلمة نظما، وأن رعاية هذا النظم، وإتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام))[٥]، وعليه فالنحو أصبح يؤدي وظيفة مهمة تتمثل بـ((فهم معاني الكتاب والسنة ومسائل الفقه ومخاطبة العرب بعضهم بعضا))[٦] فالمعنى الذي يؤديه النحو هو معنى وظيفي ناشئ من تراكيب الجملة، وبذلك يكون ((موضوع الدرس النحوي هو معرفة كيفية تركيب الكلام))[٧]، ومن هنا كانت دعوة النحويين المعاصرين إلى عدم الفصل بين علم النحو وعلم المعاني ، بل رأوا أنه روح النحو؛ لأن دراسة تركيب الكلام تستند إليه وتعتمد عيه وان الفصل بينهما يجعل من النحو قواعد جافة قاصرة عن خلق القدرة في دارسيها على الفهم الدقيق والتذوق السليم لأساليب العربية[٨].

وقد أصبح كثير من دارسي القرآن الكريم يرون أن وظيفة النحو هي : ((الرغبة القوية في معرفة أسرار التركيب القرآني))[٩].

ويأتي في طليعة هؤلاء الزمخشري الذي استطاع أن يوظف النحو توظيفا حقيقيا لهذا الغرض فـ((خصائص دراسته النحوية انه ينظر إلى العلاقة بين النحو والمعنى وتقليب الكلام على ما يحمله من أوجه))[١٠] فـ((هو حين يعرض سور القرآن من الوجهة الإعرابية فانه لا ينساق وراء صناعته النحوية كالنحويين فيحيف على جانب المعنى وإنما يجعل همه المعنى حيثما كان فهو يعالج النحو القرآني من الناحية التي تخدم تفسير القرآن ونسق معانيه))[١١].

قال د. عمر الملا حويش في هذا التفسير: ((يُعد تفسيره من غرر التفاسير لعنايته بإبراز مواطن القوة والجمال في التركيب والتنبيه على مواطن النكات البلاغية والأسلوب الرفيع))[١٢] بعد محاولة الزمخشري بدأت الدعوات تتصاعد لدراسة أساليب القرآن وتراكيبه بعيدا عن التصنع والتكلف النحوي ، وإنقاذ النص القرآني من تأويلات وتقديرات النحويين التي تمزق وحدة السياق، وقد اخذ تطبيق هذه الدعوة عدد من المعاصرين[١٣].

إن انتقادات علماء التعبير القرآني طريقة تعامل النحويين مع النص القرآني أفرزت اتجاها جديدا يؤسس لنظرية في النحو القرآني فقد ((قامت على أساسه قواعد ، وثبت على منهجه أصول

سواء كانت معه شواهد أخرى تدعم هذه القواعد أم لم تكن ، وسواء كانت هذه الأصول تتفق مع أصول النحاة أم لم تتفق ، وذلك لأن القرآن الكريم بقراءاته المختلفة أغنى قواعد النحو وزاد من قيمتها وأمدها بأمتن القواعد وأحسن الأساليب))[١٤] وبذلك فقد أصبح القرآن الكريم مجالا رحبا ((بتطبيق النحو القرآني، وعدل كل ما يحتاج إلى تعديل في القواعد النحوية المألوفة لتساير النصوص القرآنية المحكمة))[١٥] وما قدمه هؤلاء الباحثون من دراسة لبعض تراكيب القرآن وأساليبه يعكس مظهراً من مظاهر هذا الاتجاه الجديد ، فهم قد وجدوا ((في منهج القرآن ونصوصه وأساليبه ما يمد النحو بمادة القواعد ، مثلما يمد اللغوي بمادة اللغة السليمة ، ويمد الأديب والبلاغي بكل فنون التعبير الرائعة والصور الجميلة المعبرة))[١٦] وهذا ما سيتضح من خلال عرض صور من تراكيب القرآن وأساليبه .

محاولة د . عائشة عبد الرحمن

تأتي محاولة د. عائشة عبد الرحمن في طليعة المحاولات التي تمثل أنموذجا واضحا في نقد تحكيم قواعد النحويين على النص القرآني ، فقد استطاعت أن تفسر النص القرآني وتستجلي الأسرار البيانية لتراكيبه وأساليبه بعيدا عن التصنع النحوي من دون أن تخشى مخالفة القواعد النحوية والبلاغية لأنها ترى ((إن الأصل أن تعرض قواعدهم وأحكامهم على البيان الأعلى لا أن نعرض القرآن عليها ونخضع لها))[١٧] وقالت في موضع آخر: ((وقد قلت وأقول ما يجوز أن يدرس البيان الأعلى على قواعد النحاة وانه الأصل والحجة))[١٨] وهي بذلك اتخذت المنهج نفسه الذي طبقته في تفسيرها للألفاظ ويتمثل ذلك بالاحتكام إلى النص القرآني في عرض الظاهرة الأسلوبية على كل نظائرها في الكتاب المحكم وتدبر سياقها العام في المصحف التماسا لسرها البياني[١٩].

ومن تطبيقاتها ما أنكرته على المفسرين في انسياقهم وراء الصنعة الإعرابية في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾[٢٠] فالقاعدة النحوية عندهم أن اللام في (سوف) إن كانت للقسم لا تدخل على المضارع إلا مع نون التوكيد، وإن كانت اللام للابتداء فأنها لا تدخل إلا على الجملة من المبتدأ والخبر؛ لذلك رأى عدد من المفسرين منهم الزمخشري وأبو حيان أنه لابد من تقدير مبتدأ محذوف وان يكون أصل العبارة: ولأنت سوف يعطيك ربك فترضى[٢١].

إن د. عائشة تستنكر هذه الصنعة الإعرابية فتقول: ((وتدركون معي جور الصنعة الإعرابية على هذا البيان العالي، إذا احتكمنا إلى حس العربية، ووازنا بين وقع التعبير الآخر المقدر: ولأنت سوف يعطيك ربك، الذي قال عنه الزمخشري انه الأصل))[٢٢].

ومن تطبيقاتها رفضها لتأويلات المفسرين والنحويين في ثبوت النون في (يدهنون) في قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنون﴾[٢٣]والقاعدة عندهم أنها تحذف على النصب في جواب التمني في (ودوا) لتضمنه معنى (ليت) فأول الزمخشري ذلك بتقدير مبتدأ محذوف: فهم يدهنون، أو على المصدرية المؤولة بمعنى ودوا إدهانك[٢٤].

رأت د. عائشة أن مثل هذه التأويلات ناشئة من منهج خاطئ طبقه المفسرون، يتمثل بعرض الآية القرآنية على قواعدهم النحوية، ثم راحوا يلتمسون الحيل لتسوية الصنعة الإعرابية، وهم بهذا قد ضيعوا الأسرار الجمالية المقصودة في النص القرآني فالآية تبقى على وجهها وتكون (الفاء) حرف عطف ((فتثبت (النون) رفعا بالعطف على (تدهن) والفاء العاطفة لا تفقد ملحظ السببية))[٢٥].

لم تخش د. عائشة أن ترفض إجماع النحويين على نصب المضارع الواقع بعد (الفاء) المسبوق بالطلب[٢٦]؛ لأنها رأت أن ذلك يعد منهجا خاطئا يختلف عن منهجها في ((تنزيل التفسير النحوي على البيان القرآني، بمعنى أن ما وافق القرآن من كلام العرب فهو مقبول وإن خالف صنعة النحويين))[٢٧] وسيعرض البحث عددا من تطبيقاتها في ضوء دراستها لصور من التراكيب و الأساليب النحوية في كتابها (الإعجاز البياني).

محاولة د. شلتاغ عبود

وممن حذا حذو د. عائشة في رفض أن يكون النص القرآني بتراكيبه وأساليبه وعلاقاته النحوية ، منسجما مع قواعد النحويين واللغويين هو د. شلتاغ عبود، فقد انتقد النحويين في إخضاع القرآن لقواعدهم التي استوحوها من لغة العرب، فرأى أن في تحكيم مذاهبهم وتطبيقها على القرآن أو تطبيق القرآن عليها، جورا وجرأة على كتاب الله، حتى انتهى بهم الأمر إلى القول بوجود اللحن في القرآن، وقد ظلت الدراسات النحوية في الغالب قاصرة عن إدراك أسرار التعبير القرآني، وكان همها أن تقيس النصوص العليا من بلاغة القرآن على القوانين الثابتة في النحو عندهم[٢٨].

واستعان هذا الباحث بنماذج اختارها من بعض دارسي القرآن الكريم ليؤكد فيها أوحدية النص القرآني وتفرده في تراكيبه وأساليبه ، وعدم مجاراة النحويين لأسلوبه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢٩]، فكثير من الوجوه والآراء التي قيلت في إعراب كلمة (الصابئون) هي آراء غير مقبولة، بل إن بعضها ما يدعو إلى الاستغراب كرأي د. إبراهيم مصطفى الذي ذهب إلى القول: إن العرب اخطوا في نصب الاسم الواقع بعد (إن) وإن القرآن جاراهم في خطئهم وإن (الصابئون) في الآية جاءت مرفوعة على الأصل[٣٠].

إن هؤلاء وفقا لما يرى هذا الباحث لم يتوصلوا إلى وجه مقبول يعطي للنص القرآني ميزته البيانية، إلا ما عرف من عالم إسلامي لم يكن من النحويين استطاع أن يهتدي لعلة رفع (الصابئون) بناء على سياق العطف المنصوب وهو الشيخ عبد العزيز جاويش، فهذه الآية عنده قصدت الرد على من قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللهِ وَاحِبَّاؤُهُ﴾[٣١] ومن قالوا : ﴿لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةِ إلا مَنْ كَانَ هُوداً أو نصَارَى﴾[٣٢] لتريهم أن ذلك ليس من اختصاصهم وأن رحمة الله وسعت كل شيء وانه ما كان لقوم أن يقسموا رحمة الله ، ولما كان الصابئون مطرودين من رحمة الله حسب زعمهم، جاء التعبير مغايرا لما قبله لتنبيه أفكارهم والمبالغة في تسفيه مذاهبهم[٣٣].

إن هذا النص المقتطع من كلام الشيخ جاويش، قد لا يُفهم المقصود منه بشكل واضح، فإذا ما رجعنا إلى النص يتبين المقصود جيدا ، فقد رأى الشيخ جاويش إن الآية جاءت للرد على اليهود والنصارى ، فقد نزلت تلك الآية في نقض مزاعمهم وتسفيه أحلامهم مبينة إن رحمة الله وسعت كل شيء، وانه ما كان أن يقسموا رحمة ربهم ولكن الله هو الوهاب لما يشاء المقتص برحمة وإحسانه من شاء من عباده ، لقوم ممن امنوا به وصدقوا باليوم الآخر وأقاموا الصالحات من الأعمال ولو كانوا من غير اليهود والنصاري، ولما كان الصابئون موضع توهم أن الله لا يتوب على احد منهم ؛ لأنهم عبدوا النجوم، ولم يعهد من أمرهم إنهم كانوا يتأولون، كما كان يتأول بعض مشركي العرب، الذين كانوا يقولون في عبادة الأوثان والأصنام: أنهم ما عبدوها إلا لتقربهم إلى الله زلفى؛ لهذا كله جاءت الآية، لتؤكد الرد على أهل الكتاب، ذلك لتنبيه أفكارهم، وأفكار من ساروا على سنتهم، أن يخالف بين المعطوفات في الإعراب، لأنهم إذا ما سمعوا هذا الأسلوب، اجمعوا أفكارهم ليبحثوا عن

سر هذه المخالفة اللفظية، حتى إذا انتهوا إلى خاتمة الآية، تبينوا انهم خاطنون فيما زعموه، وعرف الناس قاطبة أن رحمة الله ليست مما يقسمه أهل الكتاب، وان جنته و ناره ليسا معقودين بإرادة أحد من البشر، وزادة تلك الحجة توثيقا وتأكيدا أن الصابئين يتوب الله على من امن منهم أيضا.

فرفع (الصابئون) مع نصب سابقه وتاليه مدعاة إلى تنبه السامعين وتذكرهم أن رحمة الله تشمل حتى الصابئين، وهنا الوضع من وجوب البلاغة، ومطابقة الكلام لمقتضى الأحوال، وان خالفه ذلك من مقتضيات ما يرى الجامدون من واجبات الصناعة اللفظية ، بل ان هذه المخالفة من مقتضيات الأحوال ومظاهر البلاغة وحسن البيان[٣٤].

إن روعة هذا التحليل البياني لم تستبعد السؤال الذي يبقى مطروحا ولم يجب عليه الشيخ جاويش أو د. شلتاغ عبود – وهو: أن كلمة (الصابئون) إذا كانت قد جاءت مرفوعة للغرض المشار إليه، فلماذا بقيت على النصب في الموضعين الآخرين، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً قلهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٣٥] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾[٣٦].

وإذا كان بالإمكان تخريج الموضع الثاني على أن نصب كلمة (الصابئين) جاء مطردا وفق القاعدة النحوية لان السياق فيها واحد وهو ذكر مصير وجزاء هذه الطوائف، فلا يوجد داعي للمخالفة في الإعراب على أنهم على حد سواء في الانحراف السلوكي العام المخالف للطريق الإلهي، أما في الموضع الأول فالذي يظهر أن سياقها مشابه للسياق الذي وردت فيه كلمة (الصابئون) مرفوعة فلماذا رفعت هنا ونصبت هناك؟، بل إننا نلحظ أن هذه الآية هي التي جاءت في سياق آيات الرد على أهل الكتاب، وإبطال مزاعمهم وتسفيه أحلامهم، قال تعالى: ﴿وقالوا لن تَمَسَّنا النَّارُ إلا أيَّامًا مَعْدُودَة...﴾[٣٧] وفي أية أخرى قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانت لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللهِ خَالِصَة مِن دُون النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[٣٨] وفي آية أخرى قال: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّة إلا مَنْ كَانَ هُوْدَاً أو نَصَارَى...﴾[٣٩] وقال في موضع آخر: ﴿وَقالَتِ اليَهُودُ ليُسَتِ النَّصَارَى عَلى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيء ...﴾ [٤٠] وغيرها من الآيات التي

جاءت لترسم صورة عن الجدال بين أهل الكتاب، فإذا كان التحليل البياني لرفع كلمة (الصابئون) – والذي ذكره الشيخ جاويش وأيده د شلتاغ – هو للرد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى لتنبيههم وجذب انتباههم، فمن باب أولى أن يكون كلمة (الصابئون) مرفوعة في هذا الموضع كما رفعت في الموضع الآخر.

والذي يلحظ في هذا التحليل انه قد اتبع معايير غير لغوية تقع خارج النص اللغوي تتمثل بقصد المتكلم والمخاطب والسياق والمقام والحال ، فهو عندما ذكر أن كلمة (الصابئون) جاءت لرفع التوهم الحاصل عند أهل الكتاب الذين زعموا أن الله لا يتوب على احد منهم لأنهم عبدوا النجوم، قد لا يوجد ما يؤيده في القرآن (في داخل النص القرآني) ولكن قد يوجد ما يدعمه خارج النص، وبذلك تتضافر المعايير غير اللغوية والمعايير اللغوية في فهم وتفسير البنى التركيبية للنص القرآني، إلا أن القضية تبقى موضع الاحتمال.

ويستمر د. شلتاغ عبود في عرض بعض التطبيقات التي توضح الخلط الذي وقع فيه النحويون واللغويون في تحليلهم لتركيبة النص القرآني[٤١]، وبعد ذلك يحاول أن يشخص سبب انحراف المنهج اللغوي عندهم الذي أوصلهم إلى التأويل المتعسف والتصنع المتكلف إزاء القرآن الكريم إذ قال: ((ويبدو لي أن أولئك النحويين واللغويين كانوا يضعون النموذج الشعري القديم أمامهم ثم يحاولون أن يفسروا المعنى القرآني عليه، أي أنهم يفترضون أن يكون المعنى القرآني مماثلا تماما للمعنى الشعري كأن الشعر هو الأصل والقرآن هو الفرع))[٤٢].

إن ما ذكره د شلتاغ في تحديده وتشخيصه لدواعي التصنع والتمحل الذي ساد في منهج النحويين عند دراستهم أساليب وتراكيب القرآن، هو واحد من أسباب عديدة اجتمعت سوية، جعلت دراستهم مفرطة في القواعد اللفظية والمنطقية والبعيدة عن روح المعنى، وأبرز هذه الأسباب وأهمها التصور الخاطئ للمعنى القرآن عند كثير من دارسي القرآن مما يحتم عليهم وضع وتأويل قواعد معينة تتلاءم وهذا المعنى الخاطئ على حساب دلالة النص القرآني، وهو ما ركن إليه الباحث (عالم سبيط النيلي) الذي عرض كثيرا من التطبيقات، وسيعرض البحث نماذجا منها في محله المناسب.

محاولة عالم سبيط النيلي

أما الباحث (عالم سبيط النيلي) فهو من أكثر الباحثين المحدثين إزدراء بقواعد النحويين وتأويلات المفسرين حتى انه وصف هذه القواعد بأنها ((أسوأ قواعد لغوية وضعت في تاريخ لغات العالم))[٤٣]، فقد رأى ((أن أكثر القواعد وضعت على أساس الشواهد العامة، ثم طبقت على القرآن (بالقوة القاهرة)، تقديرا وحذفا ونقلا لجملة الكاملة وبتقديم وتأخير لألفاظه، وإزالة ألفاظ ووضع أخرى مكانها لأجل أن تطابق (العبارة المقدرة) القواعد الموضوعة))[٤٤].

وهناك سبب ثان لهذا التقصير المنهجي في التعامل مع النص القرآني، ركز عليه هذا الباحث، وهو متميز في تشخصيه عن غيره من الباحثين، ويتمثل بانعكاس المعنى الذهني الخاطئ عند النحوي على القواعد ، فالنحوي يتصور معنى معينا فيضع في ضوء هذا المعنى قاعدته[٤٥]، لذلك فإن أكثر تقديراتهم مبنية على ما يفهمه النحوي من معنى، فالمعنى هو الذي يحدد القاعدة، في حين أن الغاية من القواعد ضبط الكلام وتفسيره بعد معرفة أغراضه[٤٦].

وحشد هذا الباحث العديد من التطبيقات يثبت فيها أن المناهج المتبعة في دراسة النص القرآني هي مناهج اعتباطية أفسدت الدلالات المقصودة لهذا النص وأخرجته عن كونه نصا معجزا إلى نص خاضع نحويا لقواعدهم ومرتع لتأويلاتهم ..

ومن تطبيقاته ما نقله عن قولهم بتمامية (كان) في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ نَكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[٤٧] فالأنباري حاول تخريج المسألة في ضوء ما فهمه من معنى إذ قال: ((ولا يجوز أن تكون هنا ناقصة لأنه لا اختصاص لعيسى في ذلك لأنه لو كان في المهد صبيا ولا عجب في تكليم من كان مضي، في حال الصبا، إنما العجب في تكليم من هو في المهد في حال الصبا فدل على أنها هاهنا بمعنى وجد))[٤٨]، فقد رأى هذا الباحث أن هناك تلاعبا في دلالة هذا التركيب القرآني ومنشأه هو المعنى الخاطئ للتصور عندهم، فقال تعليقا على كلام الأنباري السابق انه لم ينتبه إلى جميع ملابسات الحدث، بل أخذ الآية مجردة تماما عما يحيط بها من صور واضحة لإظهار الحدث، فهم لم ينتبهوا إلي وضع المسيح (عليه السلام) هل كان في المهد فعلا حين حصول المحاورة، في حين أننا لو رجعنا إلى القرآن نجد أنه يحدد وضعه اذ قال: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ﴾[٤٩] فهو إذن لم يكن في المهد حال الحوار ... فالذي يرونه الآن هو طفل – ولا يمكنهم أن يكذبوا فيقولوا هو في المهد ، لأنهم لم يروا المهد – لكنهم من تقدير عمره وكونه لابد أن يكون في

المهد قبل قليل – قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبيا – فليس الغريب أن يكلموا صبيا ، بل صبي هو في عمر من يكون في المهد عادة ... فالفعل (كان) أخذ موقعه الصحيح الذي يفيد الماضي. وليس معناه هو كائن الآن في المهد أو وجدناه على حد تعبير الانباري ؛ لأنه لا كان في المهد ولا وجوده في المهد[٥٠].

يرى (النيلي) أن فهمهم الخاطئ لدلالات النص القرآني جعلتهم ينقضون قواعدهم الثابتة ، ومن خلال تحليله هذا الشاهد القرآني وشواهد أخرى يتضح أنه أدرك جيدا أن لا قيمة للتراكيب و العلاقات النحوية خارج السياق ((فكما أن الألفاظ في حد ذاتها مجردة عن معاني النحو لا قيمة لها ، فإن المعاني النحوية ليست الميزة بواجبة لها في حد ذاتها))[٥١] .

الخاتمة :

على وفق ما عرضناه في هذا البحث ، تبيّن لنا بوضوح أن هناك اتجاها بيانيا معاصرا له جذوره وملتقياته مع الفكر التراثي ولاسما مع الجرجاني ونظرية النظم القرآنية ، أراد هذا الاتجاه الافلات من قواعد النحويين ، والخروج عنها وعدم التسليم لها ، والاحتكام الى بيانية النص القرآني ، الا إننا ومن خلال عرض بعض المحاولات البيانية النقدية ، أفرز لنا البحث وجهتين ، وجهة تقدّم نقدها للصناعة النحوية والتعسف في تطبيق القواعد النحوية على النص القرآني ، فأصحاب هذه الوجهة ليس لهم مشكلة مع أصل هذه القواعد ، بل مشكلتهم مه منهجية تطبيق هذه القواعد ، وهذا ما بدا لنا مع محاولة د. عائشة عبد الرحمن.

أما وجهة النظر الثانية فهي تقدّم نقدها الى أصل هذه القواعد ويعتقد أصحابها أن التأسيس لهذه القواعد كان خاطئا وليس تطبيق هذه القواعد فحسب هو الخاطئ ، وهذا ما بدا واضحا مع عالم سبيط النيلي .

الهوامش:

---

[١] ينظر: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، د. عبد الفتاح لاشين: ٤٠.

[٢] إحياء النحو، إبراهيم مصطفى: ٣.

[٣] دلائل الإعجاز: ٦٤.

[٤] اللغة العربية معناها ومبناها: ١٨.

[٥] من النظم إلى الأسلوب (مدخل) نظري لدراسة أنماط الاستبدال في العبارة القرآنية: بحث في مجلة أداب الرافدين، د. عبد الوهاب محمد علي المدني، ج ٢٨، ١٩٩٦: ١٩.

[٦] شرح الحدود النحوية، الفاكهي: ٣١.

[٧] أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين: ٧٦.

[٨] أساليب الطلب عند النحويين والباغيين :٧٦

[٩] النحو والدلالة: ١٦.

[١٠] الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، د. فاضل السامرائي: ٣٧٥.

[١١] منهج الزمخشري في تفسيره: ١٦٧.

[١٢] أثر البلاغة في تفسير الكشاف: ١٤٦.

[١٣] منهم د. أحمد عبد الستار الجواري في كتابه (نحو القرآن) وأحمد مكي الأنصاري في كتابه (نظرية النحو القرآني).

[١٤] القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، عبد العال سالم مكرم: ٣٠٦.

[١٥] نظرية النحو القرآني نشأتها وتطورها ومقوماتها الأساسية، د. أحمد مكي الأنصاري: ١٦.

[١٦] دراسات نقدية في اللغة والنحو، د. كاصد الزيدي: ١٠٣.

[١٧] التفسير البياني: ٢/٩.

[١٨] نفسه: ٥٨.

[١٩] نفسه: ٧.

[٢٠] الضحى: ٥.

[٢١] ينظر: الكشاف: ١٢٠٩، وينظر: البحر المحيط: ٨/٤٨٦ ، وينظر: التفسير البياني: ١/٣٥.

[٢٢] التفسير البياني للقرآن الكريم : ١/٣٥.

(٢٣) القلم: ٩.

(٢٤) ينظر: الكشاف: ١١٢٩، وينظر: التفسير البياني: ٢/٥٧.

(٢٥) التفسير البياني: ٢/٥٨.

(٢٦) ينظر: المقتضب، المبرد: ٢/٣١١.

(٢٧) مناهج و أراء في لغة القرآن: ١٢٩.

(٢٨) الإعجاز القرآني أسلوبا ومضمونا: ١١٩ – ١٢٠.

(٢٩) المائدة: ٦٩.

(٣٠) ينظر: الإعجاز القرآني أسلوبا ومضمونا: ١٢١ نقلا عن إحياء النحو.

(٣١) المائدة: ١٨.

(٣٢) البقرة: ١١١.

(٣٣) الإعجاز القرآني أسلوبا ومضمونا: ١٢١ نقلا عن أسرار القرآن: ١:٤٣.

(٣٤) لغة القرآن: ٢٠١٠ – ٢٥٢ نقلا عن كتاب أسرار القرآن لعبد العزيز جاويش: ١/٤٣ – ٤٤.

(٣٥) البقرة: ٦٢.

(٣٦) الحج: ١٧.

(٣٧) البقرة: ٨٠.

(٣٨) البقرة: ٩٤.

(٣٩) البقرة: ١١١.

(٤٠) البقرة: ١١٣.

(٤١) الإعجاز القرآني أسلوبا ومضمونا: ١٢٠ – ١٢١.

(٤٢) نفسه: ١٢٢.

(٤٣) النظام القرآني: ١٦٠.

(٤٤) نفسه: ١٣٨.

(٤٥) النظام القرآني: ١٦٣.

(٤٦) نفسه: ١٣٨.

(٤٧) مريم: ٢٩.

(٤٨) من أسرار العربية: ١٣٤-١٣٥، وينظر: النظام القرآني: ١٥٧.

(٤٩) مريم: ٢٧.

(٥٠) ينظر: النظام القرآني: ١٥٨-١٥٩.

(٥١) دراسة لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة: ١٨٧.

١. **المصادر والمراجع**

٢. القرآن الكريم

٣. أثر البلاغة في تفسير الكشاف، دكتور محمد عمر الملا حويش، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٧٠م.

٤. إحياء النحو، إبراهيم مصطفى، القاهرة، ١٩٥٩.

٥. الإعجاز القرآني أسلوبًا ومضمونًا، الدكتور شلتاغ عبود، دار المرتضى، بيروت، ١٤١٣هـ_ ١٩٩٣م.

٦. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ) دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٣٩٨هـ_ ١٩٧٨م.

٧. التراكيب النحوية من الوجه البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني، الدكتور عبد الفتاح لاشين، دار المريخ للنشر، السعودية، ١٩٨٠م.

٨. التفسير البياني للقرآن الكريم، الدكتورة عائشة عبد الرحمن، دار المعارف بمصر، ط١، ١٩٦٦م.

٩. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) تحقيق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت_ لبنان، ١٣٩٨هـ_ ١٩٧٨م.

١٠. دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، الدكتور سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، (د.ت).

١١. الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٧١م.

١٢. شرح الحدود النحوية عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي (ت٩٧٢) دراسة وتحقيق، الدكتور زكي فهمي الآلوسي، بيت الحكمة، جامعة بغداد (د.ت).

١٣. القرآن وأثره في الدراسات النحوية، الدكتور عبد العال سالم مكرم، ط٢، ١٩٧٨م.

١٤.

١٥. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، (د.ت).

١٦. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، ط٤، بيروت_ لبنان، ١٤٢٥هـ_ ٢٠٠٤م

١٧. لغة القرآن الكريم، الدكتور عبد الجليل عبد الرحيم، مكتبة الرسالة الحديثة، ط١، عمان_ الأردن، ١٤٠١هـ_ ١٩٨١م.

١٨. المقتضب، أبو عباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥)، تحقيق حسن حمد، مراجعة الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت_ لبنان، ١٤٢٠هـ_ ١٩٩٩م.

١٩. من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مطبعة لجنة البيان العربي، ط٢، ١٩٥٨م.

٢٠. مناهج وأراء في لغة القرآن، محمد بركات حمدي أبو علي، دار الفكر، عمان_ الأردن، ١٩٨٤م.

٢١. منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، مصطفى الصاوي الجويني، دار المعارف بمصر.

٢٢. النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ط١، ١٩٨٣م.

٢٣. النظام القرآني مقدمة في المنهج اللفظي، عالم سبيط النيلي، عمان، دار اسامة، ط١، ١٤١٩هـ_ ١٩٩٩م

٢٤. نظرية النحو القرآني وتطورها ومقوماتها الأساسية، الدكتور أحمد مكي الأنصاري، مطابع أبي الفتوح، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٥. من النظم إلى الأسلوب (مدخل نظري لدراسة أنماط الاستبدال اللغوي) في العبارة القرآنية، الدكتور عبيد الواحد محمد علي العدواني، مجلة آداب الرافدين، ج٢٨، ١٩٩٦م.